بصائر من الوحي في فقه النفس وتزكيتها

٤- قواعد في شعب الإيمان



حسين عبد الرازق

أولا: تنوعُ شُعَبِ الإيمانِ ودلالاتُ ذلك:

في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «الإيمان بضعٌ وستون شُعْبة، والحياء شُعْبة من الإيمان»، وعند مسلم: ((الإيمان بضعٌ وسبعون أو بضعٌ وستون شُعْبة، فأفضلُها قولُ: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شُعْبة من الإيمان))

ثانيا: أعظم الشعب (الفرائض –الحقوق–الواجبات) تعلُّما وتعليما وعملا:

روى البخاريُ عن أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ».

وأعظمُ نصيحةٍ أهداها مُعلِّم تلميذَه تلك التي ذكرها الإمام مالكٌ رحمه الله لما سألَ الطالبُ شيخه عن طلب العلم، قال له: ((إن طلبَ العلم لَحسنٌ، ولكن انظُرْ إلى الذي يلزمُك من حين تُصبحُ إلى حينَ تُمسي فلا تُؤثرنَّ عليه شيئا))

ثالثا: اضرب في كل شعبة بسهمٍ، فلكل شُعبة ثمرتُها.

إن لكل عبادة أجرا، ثمرةً خاصّةً، فإن العبدَ وإن كان له بابٌ خاصٌّ من العمل الصالح يعتني به ويهتم به ويُطوِّرُ نفسه فيه بشكل مستمرٍ= فلابد له من أن يضرب بسهم في باقي ما يستطيعُ من أبواب الخير.

وانظر إلى أبي بكر ﷺكما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أنَّه ﷺ قال: «مَن أنفقَ زوجين في سبيل الله، نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله، هذا خير، فمَن كان من أهْل الصلاة، دُعِي من باب الصلاة، ومَن كان من أهْل الجهاد، دُعِي من باب الجهاد، ومَن كان من أهْل الصيام دُعِي من باب الرَّيَّان، ومَن كان من أهْل الصَّدَقة، دُعِي من باب الصدقة))، فقال أبو بكر – رضي الله عنه -: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على مَن دُعِي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يُدْعَى أحدٌ من تلك الأبواب كلِّها؟ قال: ((نعم، وأرجو أن تكون منهم».

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ أصبح منُكم اليومَ صائماً: قال أبو بكر: أنا، قال: فمن تبع منكم اليومَ جنازةً؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن أطعم منكم اليومَ مسكيناً؟ قال أبو بكر: أنا قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله: ما اجتمعن في امرئٍ إلاّ دخلَ الجنّةَ " مسلم.

من التطبيقات من هدي النبي صلى الله عليه وسلم

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كنّا يوم بدر، كلُّ ثلاثةٍ على بعيرٍ (يتبادلون الركوبَ على بعير واحد)، وكان أبو لُبابةَ وعليُّ بنُ أبي طالب زميلَي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فكانت عُقبةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقالا له: نحن نمشي عنك، فقال صلى الله عليه وسلم: ما أنتما بأقوى منّي على المشيِ، ولا أنا بأغنى عن الأجرِ منكما!!).

والعبدُ لا يدري ما الذي يبلغ به من الأعمال:

- عن أبي هريرة ﷺ: «أنَّ امرأةً سوداءَ كانت تَقُمُّ المسجدَ (أو شابًّا) ففقدها رسولُ اللهِ ﷺ. فسأل عنها (أو عنه) فقالوا: مات. قال أفلا كنتُم آذَنْتُموني. قال: فكأنهم صَغَّروا أمرَها (أوأمرَه). فقال: دُلُّوني على قبرِها فدَلُّوه. فصلَّى عليها. ثم قال إنَّ هذه القبورَ مملوءةٌ ظُلمةً على أهلِها. وإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُنوِّرُها لهم بصلاتي عليهم» [صحيح مسلم: ٩٥٦].
- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِبِلاَلٍ عِنْدَ صَلاَةِ الفَجْرِ: (يَا بِلاَلُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلاَمِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ) قَالَ: " مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا، فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ ". البخاري (١١٤٩)، ومسلم (٢٤٥٨) دف نعليك: يعني حركة نعليك وصوتهما في الأرض.
- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((بينما كلب يُطِيفُ بركِيَّةٍ كاد يقتله العطش، إذ رأتْه بغيٌّ مِن بَغايا بني إسرائيل، فنزعت مُوقَها فسَقَتْه، فغُفِرَ لها به))
- وفي حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق، كانت تؤذي المسلمين)) رواه مسلم.

وفي رواية: ((مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق، فقال: والله لأنحينّ هذا عن المسلمين لا يؤذيهم، فأُدخل الجنة)) وفي رواية لهما –يعني للبخاري ومسلم–: ((بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره، فشكر الله له، فغفر له)

رابعا: اختر من الأعمال ما يناسب مواهبك وقدراتك ولا تتكلف ما لا تُحسنه ولن تقوم به على وجهه:

وليس هذا من اتباع الهوى في العمل الصالح بل من الحكمة في اتباع الوحي.

خامسا: حفظ الحقوق (إن لربك عليك حقا):

سادسا: أن تزن نفسك بميزان شعب الإيمان فتعرف ماذا عندك وماذا ينقصك وأن يعرف لأهل العمل والسعي فضلهم وألا يحقر أخاه:

ومَن لم يفقه ذلك التنوع والتكامل وقع في البغي والظلم.

وذلك نراه حاصلا عندما:

- ✓ يتفاخَر طالبُ العلم بما عنده من معلوماتٍ ومعارف،
- ✓ ويُعيِّر غيره من العاملين للدين في مجالات أخرى بجهلهم وقِلّة تحقيقهم.
- ✓ ويتفاخرُ المجاهدُ بجهاده وتضحياته، ويُعيّر إخوانه بقعودهم ويصفهم بالجُبن وحُب الدُّنيا
- ✓ ويتفاخر الداعية بعدد من يحضرون له خطبة الجمعة، وعدد مَن اهتدَوا على يديه، ويُعيّر إخوانه بتقصيرهم في الدعوة
- ✓ ويَمُنُّ المنفق ويقول: لولا دعْمي لكم لما قامت مشاريعكم...
- ✓ ويتيهُ المثقّف بمعرفته للواقع، ويُعيّر هؤلاء بجهلهم به، وأنهم همج رعاع....

وهكذا يتيه كلٌ بما بعمله ويبغي ويستطيل على المقصّر فيه مهما كان مجتهدا عاملا في أي مجالٍ آخر!

عندما يحصل مثل هذا في أي مجتمع أو أي مجال فهو تفسير واضح جدا لظاهر الفشل العام مهما بُذل من جهود مُتفرّقة في تلك المجالات

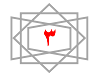
فالخيرُ العامُّ لا يحصلُ بواحدٍ من تلك المجالات.

* **ولو أن كلّ شخص منهم:**

- ✓ أدرك شمول الإسلام لكل هذه الأعمال
- ✓ وتنوّع شُعب الإيمان
- ✓ وتفاوُتَ وتنوّع قُدرات ومواهب الناس
- ✓ وأدرك حاجةَ المسلمين لكلّ هذه الأعمال
- ✓ وأنها تتكامل لا تتنافر ولا يهدم بعضُها بعضا = لكان اختلافُهم في هذه المجالات سببًا لاجتماعهم

فالكُل بحاجة إلى أخيه:

- ✓ -لتحوّل التنازعُ إلى تواصل.
- ✓ -والتعيّيرُ إلى تشجيع واعتراف بفضلهم فيما يُقدّمونه
- ✓ -ومُدّتْ جسور التعاون على ما يُمكن من البر والخير
- ✓ وحُفظتْ أوقاتُهم فيما ينفع



✓ ولَصار انتماؤهم إلى الإسلام والمسلمين لا إلى مجالاتهم وطوائفهم!

﴿وما اختلف الذين أُوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم﴾.

وفي الحديث: «لا تَحَاسَدُوا، وَلا تَنَاجَشُوا، وَلا تَبَاغَضُوا، وَلا تَدَابَرُوا، وَلا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ وَلا يَخْذُلُهُ وَلا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا -وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ- بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ».

سابعا: الحكمة في القيام بالعمل الصالح:

افتتحُ الكلام في هذا المقام بتفصيل قيم للإمام ابن القيم رحمه الله سَبَرَ فيه أحوال العُبّاد في تصوّرهم لأفضل العبادات وأنفعها عند الله، قال: ((ثم أهلُ مَقام " إياك نعبد " لهم في (أفضلُ العبادةِ وأنفعُها وأحقُّها بالإيثارِ والتخصيصِ) أربعُ طرقٍ، **فهُم في ذلك أربعة أصناف:**

الصنفُ الأول: عندهم أنفعُ العباداتِ وأفضلُها: أشقُّها على النفوس وأصعبها.

قالوا: لأنه أبعدُ الأشياء عن هواها، وهو حقيقة التعبد.

قالوا: والأجرُ على قدر المشقة، وروَوا حديثا لا أصل له " أفضل الأعمال أحمَزُها " أي أصعبها وأشقها.

وهؤلاء: هم أهل المجاهدات والجَورِ على النفوس.

قالوا: وإنما تستقيمُ النفوسُ بذلك، إذ طبعُها الكسلُ والمهانةُ، والإخلادُ إلى الأرضِ، فلا تستقيمُ إلا بركوبِ الأهوال وتحمل المشاق!

الصنف الثاني: قالوا: أفضلُ العباداتِ التجردُ، والزهد في الدنيا، والتقللُ منها غايةَ الإمكان، واطّراحُ الاهتمام بها، وعدمُ الاكتراث بكل ما هو منها.

ثم هؤلاء قسمان:

فعوامُّهم ظنوا أن هذا غايةٌ، فشمروا إليه وعملوا عليه، ودعوا الناسَ إليه، وقالوا: هو أفضل من درجة العلمِ والعبادة، فرأوا الزهد في الدنيا غايةَ كل عبادة ورأسها.

وخواصُّهم رأوا هذا مقصودا لغيره، وأن المقصودَ به عكوفُ القلبِ على الله، وجمعُ الهمة عليه، وتفريغُ القلب لمحبته، والإنابةُ إليه، والتوكلُ عليه، والاشتغالُ بمرضاته، فرأوا أن أفضل العبادات في الجمعيةِ على الله، ودوام ذكره بالقلب واللسان، والاشتغال بمراقبته، دون كل ما فيه تفريق للقلب وتشتيت له.

ثم هؤلاء قسمان، فالعارفون المتبعون منهم إذا جاء الأمر والنهي بادروا إليه ولو فرقهم وأذهب جمعيتهم

والمنحرفون منهم يقولون: المقصود من العبادة جمعيةُ القلب على الله، فإذا جاء ما يفرقه عن الله لم يلتفت إليه، وربما يقول قائلهم:

يُطالُبُ بالأورادِ من كان غافلا، فكيف بقلبٍ كلُ أوقاته وردٌ!؟

ثم **هؤلاء أيضا قسمان**، منهم من يترك الواجبات والفرائض لجمعيته!، ومنهم من يقوم بها ويترك السنن والنوافل، وتعلُّمَ العلمِ النافع لجمعيته.

وسأل بعضُ هؤلاء شيخا عارفا، فقال: إذا أذن المؤذن وأنا في جمعيتي على الله، فإنْ قمتُ وخرجتُ نفَقَتْ، وإن بقيتُ على حالي بقيتْ على جمعيتي، فما الأفضل في حقي؟

فقال: إذا أذن المؤذن وأنت تحت العرش فقم، وأجب داعي الله، ثم عُد إلى موضعك، وهذا لأن الجمعية على الله حظُ الروح والقلب، وإجابةُ الداعي حقُ الرب، ومن آثر حظَّ روحه على حق ربه فليس من أهل " إياك نعبد ".

الصنف الثالث: رأوا أن أنفع العبادات وأفضلها: ما كان فيه نفعٌ متعدٍ، فرأوه أفضلَ من ذي النفعِ القاصر، فرأوا خدمةَ الفقراء، والاشتغالَ بمصالح الناسِ وقضاءِ حوائجهم، ومساعدتَهم بالمال والجاه والنفع= أفضل، فتصدوا له وعملوا عليه واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إليه أنفعُهم لعياله رواه أبو يعلى. واحتجوا بأن عملَ العابدِ قاصرٌ على نفسه، وعملَ النفّاعِ متعد إلى الغير، وأين أحدهما من الآخر؟

قالوا: ولهذا كان فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب.

قالوا: وقد قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وهذا التفضيل إنما هو للنفع المتعدي، واحتجوا بقوله ﷺ من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه، من غير أن ينقص من أجورهم شيء واحتجوا بقوله ﷺ إن الله وملائكته يصلون على معلمي الناس الخير وبقوله ﷺ إن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، حتى الحيتان في البحر، والنملة في جحرها.

واحتجوا بأن صاحبَ العبادة إذا مات انقطع عمله، وصاحبُ النفعِ لا ينقطع عمله، ما دام نفعه الذي نسب إليه.

واحتجوا بأن الأنبياء إنما بُعثوا بالإحسان إلى الخلق وهدايتهم، ونفعُهم في معاشهم ومعادهم، لم يُبعثوا بالخلوات والانقطاع عن الناس والترهُّب، ولهذا أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على أولئك النفر الذين همَّوا بالانقطاع للتعبد، وترك مخالطة الناس، ورأى هؤلاء التفرقَ في أمر الله، ونفع عباده، والإحسان إليهم، أفضل من الجمعية عليه بدون ذلك.

الصنف الرابع: قالوا: **إن أفضلَ العبادة العملُ على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته**، فأفضل العبادات في وقت الجهاد: الجهاد، وإن آل إلى ترك الأوراد، من صلاة الليل وصيام النهار، بل ومن ترك إتمام صلاة الفرض، كما في حالة الأمن.

والأفضل في وقت حضور الضيف مثلا القيام بحقه، والاشتغال به عن الورد المستحب، وكذلك في أداء حق الزوجة والأهل.

والأفضلُ في أوقات السحر الاشتغالُ بالصلاة والقرآن، والدعاء والذكر والاستغفار.

والأفضل في وقت استرشاد الطالب، وتعليم الجاهل الإقبال على تعليمه والاشتغال به.

والأفضل في أوقات الأذان ترك ما هو فيه من ورده، والاشتغال بإجابة المؤذن.

والأفضلُ في أوقات الصلواتِ الخمس الجد والنصح في إيقاعها على أكمل الوجوه، والمبادرة إليها في أول الوقت، والخروج إلى الجامع، وإن بعد كان أفضل.

والأفضلُ في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالجاه، أو البدن، أو المال الاشتغال بمساعدته، وإغاثة لهفته، وإيثار ذلك على أورادك وخلوتك.

والأفضلُ في وقت قراءة القرآن جمعية القلب والهمة على تدبره وتفهمه، حتى كأن الله تعالى يخاطبك به، فتجمع قلبك على فهمه وتدبره، والعزم على تنفيذ أوامره أعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك.

والأفضلُ في وقت الوقوف بعرفة الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر دون الصوم المضعف عن ذلك.

والأفضلُ في أيام عشر ذي الحجة الإكثار من التعبد، لاسيما التكبير والتهليل والتحميد، فهو أفضل من الجهاد غير المتعين.

والأفضلُ في العشر الأخير من رمضان لزوم المسجد فيه والخلوةُ والاعتكافُ دون التصدي لمخالطة الناس والاشتغال بهم، حتى إنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم، وإقرائهم القرآن، عند كثير من العلماء.

والأفضلُ في وقت مرض أخيك المسلم أو موته عيادته، وحضور جنازته وتشييعه، وتقديم ذلك على خلوتك وجمعيتك.

والأفضلُ في وقت نزول النوازل وأذاة الناس لك أداء واجب الصبر مع خلطتك بهم، دون الهرب منهم، فإن المؤمن الذي يخالط الناس ليصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يؤذونه.

والأفضلُ خلطتهم في الخير، فهي خير من اعتزالهم فيه، واعتزالهم في الشر، فهو أفضل من خلطتهم فيه، فإنْ عَلِم أنه إذا خالطهم أزاله أو قلله فخلطتُهم حينئذ أفضلُ من اعتزالهم.

فالأفضلُ في كل وقت وحال إيثارُ مرضاة الله في ذلك الوقت والحال، والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه.

وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق، والأصنافُ قبلهم أهلُ التعبد المقيد، فمتى خرج أحدُهم عن النوع الذي تعلق به من العبادة وفارقه= يرى نفسه كأنه قد نقص وترك عبادته، فهو يعبد الله على وجه واحد!

وصاحبُ التعبد المطلق ليس له غرضٌ في تعبدٍ بعينه يؤثره على غيره، بل غرضه تتبعُ مرضاة الله تعالى أين كانت، فمدارُ تعبده عليها، فهو لا يزال متنقلا في منازل العبودية، كلما رفعت له منزلةٌ عَملَ على سيره إليها، واشتغل بها حتى تلوحَ له منزلةٌ أخرى، فهذا دأبُه في السيرِ حتى ينتهي سيرُه.

فإن رأيتَ العلماءَ رأيتَه معهم.

وإن رأيت العُبّاد رأيته معهم.

وإن رأيتَ المجاهدين رأيته معهم.

وإن رأيت الذاكرين رأيته معهم.

وإن رأيت المتصدقين المحسنين رأيته معهم.

وإن رأيت أربابَ الجمعيّة وعكوفِ القلب على الله رأيته معهم = فهذا هو العبدُ المطلق، الذي لم تملكْه الرسومُ، ولم تقيده القيودُ، ولم يكن عملُه على مراد نفسه وما فيه لذتها وراحتها من العبادات، بل هو على مرادِ ربه، ولو كانت راحة نفسه ولذتها في سواه، فهذا هو المتحقق ب " إياك نعبد وإياك نستعين " حقا، القائم بهما صدقا

ملبسُه ما تهيأ، ومأكلُه ما تيسر، واشتغالُه بما أمر الله به في كل وقت بوقته، ومجلسُه حيث انتهى به المكان ووجده خاليا، لا تملكه إشارةٌ، ولا يتعبده قيدُ، ولا يستولي عليه رسمٌ، حُرٌ مجرد، دائرٌ مع الأمر حيث دار، يدينُ بدينِ الآمِرِ أنّى توجهت ركائبُه، ويدور معه حيث استقلتْ مضاربُه، يأنسُ به كل مُحُقٍّ، ويستوحش منه كل مُبطِل، كالغيثِ حيث وقعَ نفعَ، وكالنخلةِ لا يسقط ورقُها وكلها منفعةٌ حتى شوكُها، وهو موضع الغِلظة منه على المخالفين لأمر الله، والغضبِ إذا انتُهِكت محارمُ الله

فهو لله وبالله ومع الله، قد صحب اللهَ بلا خَلقٍ، وصحبَ الناسَ بلا نفْسٍ، بل إذا كان مع الله عزل الخلائق عن البَين، وتخلَّى عنهم، وإذا كان مع خلقه عزلَ نفسَه من الوسط وتخلى عنها، فواهًا له! ما أغربه بين الناس! وما أشد وحشته منهم! وما أعظم أُنسه بالله وفرحه به، وطمأنينتِه، وسكونه إليه!! والله المستعان، وعليه التكلان.)) مدارج السالكين

ومن تطبيقات ذلك

حديث الأسود بن يزيد –يعني: النخعي– قال: (سُئلت عائشة –رضي الله عنها–ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله)، يعني: خدمة أهله، (فإذا حضرت الصلاة، خرج إلى الصلاة)

وكان أبو بكر الصديق خاشعا لله بكّاء ولما اشتد برسول الله ﷺ وجعه، وذلك في مرض الموت، قيل في الصلاة، فقال ﷺ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ، فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ». فقالت عائشة رضي الله عنها: إن أبا بكر رجلٌ رقيقٌ، إذا قرأ القرآن غلبه البكاء. فقال ﷺ: «مُرُوهُ فَلْيُصَلِّ».

ولكنه يعطي كل موقف حقه

((مع عروة بن مسعود حينما قال ما أرى حولك إلا أوباشا))

وفي موت النبي ﷺ من كان يعبد محمدا ﷺ وغير ذلك.

وكان الصحابة يتبادحون بالبطيخ فإذا جاءت الحقائق كانوا الرجال ...

وهنا ضابطٌ مهم في باب النَّفل المُطلق ينبغي مراعاته وقد يَخفى على كثير من أهل الاستقامة ويقعون بسبب عدم الانضباط به في تضييع بعض الحقوق والواجبات.

الضابط المهم الذي ينبغي مراعاته أثناء التطوع بالنوافل هو ألا يكون في فعله تفويت لمصلحة راجحة أو ارتكاب مفسدة محققة، فإذا ترتب على فعل التطوع: فواتُ مصلحة أو تحققُ مفسدة =كان المشروع حينئذ للمكلف عدمُ فعله لأن الاشتغال به يفوت ما هو أعظم فائدة،

وهذا مبنيٌ على أصلين:

✓ **الأول**: (العلمُ بالعبادات وشعب الإيمان، وأنها تتفاضلُ، والعلم بمنزلة كل عمل منها)

✓ **ثانيا**: العلم بواجب الوقت.

***تعلَّمْ النيَّةَ: فبالاحتساب يصيرُ المباح عبادة، وبالغفلة عن النية يضيع أجر العمل الصالح:**

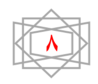
نتأمل هذه الأحاديث الثلاثة:

١. قول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص: إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى ما تجعل في فم امرأتك))

يُبين أن الأمور التي هي من باب المسؤولية والواجب على الشخص يُثابُ عليها بحُسن النية **وفي ذلك**: إشارةٌ لضرورة تذكُّر الإنسان الاحتساب في الأمور التي يفعلها من باب المسؤولية: كالنفقة على عياله، والذهاب إلى العمل، والدراسة ونحوها.

٢. وقوله ﷺ لفقراء الصحابة: «أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ».

يبينُ سعة ما يشمله اسم الصدقة وأنه كل خيرٍ يجود به الإنسانُ يبتغي به وجه الله، بحسب استطاعته وليس محصورا في إنفاق المال ثم نصَّ على (شهوة الإنسان) إذا وضعها فيما أُحِلّ له =ليبيّن لهم أن العمل الصالح ليس محصورا فيما يخالف هوى النفس، بل يدخل في العمل الصالح ما فيه حظُّ النفس وهواها إذا كان بهُدىً من الله، وهذا يدخل فيه كلُ حياة الإنسان من نومٍ وترفيه مُباح ورياضة وطعام وشراب ومُتعة أو تعلُّمٍ وغيرها =أن يُلاحظ ما فيها من نفعٍ فيبتغي به وجه الله تعالى.



٣. وقوله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»

لبيان أبواب يسيرةٍ يَنال بها العبد رضا ربه، وكثيرٌ أو ربما أكثر الناس يقولها ولا يعلمُ أنّ الله يرضى عنه بها!

وهذا والله من رحمة الله وفضله الواسع وحبه الخير لعباده، أبوابٌ كثيرة ومتنوعة ومُيسّرة للثواب وتكفير السيئات.

ولا يهلك على الله إلا هالكٌ، قال الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

مفهوم العبادة في الإسلام واسع شامل، ذكرها الله سبحانه وتعالى في معرض بيان وظيفة الإنسان في هذه الحياة فقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ {الذاريات:٥٦}، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ {الأنعام:١٦٢}.

فالعبادةُ: (اسمٌ جامع لكلِ ما يحبه اللهُ ويرضاه من الأقوالِ والأعمال الظاهرةِ والباطنةِ، كالصلاة والزكاة، والصيام والحج، وصدقِ الحديث، وأداءِ الأمانة، وبر الوالدين، وصلةِ الأرحام، والوفاءِ بالعهود، والأمرِ بالمعروف والنهيِ عن المنكر، والجهاد، والدعاءِ والذكر... وغير ذلك من الأعمال).

قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كان هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

فالنية الصالحة تحول المباحات إلى طاعات:

حديث: «إني لأحتسب نومتي...»

وقال عبد الله بن الإمام أحمد لأبيه يوما أوصني يا أبت، فقال: (يا بني انو الخير فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير).

الآداب الشرعية لابن مفلح.

****

برنامج عملي يجمع بين التنويع والمداومة

- ✓ الفرائض.
- ✓ معرفة الحقوق.
- ✓ الصيام.
- ✓ السنن.
- ✓ قيام الليل وأثره.